الاحكام الدينية . ولا يكون مخالفا لقواعد المنطق السليم ، والبحث فى الامور الثلاثة الأولى لا يصح أن يسمى فلسفة الغزالى إلا من باب التسامح . أما فى الامر الرابع فتتجلى عقلية الغزالى بأجلى مظاهرها وتظهر للعالم عبقريته وآثار روحه الفياض ، ومقدرته على الابتكار ، واشمئزازه من التقليد. وهنا يحاول الغزالى ربط العلم بالعمل ، ويبين علاقة المادة بالروح ، ويظهر التوافق بين العقل والدين. ذلك التوافق الذى كان دائماً يرمى اليه ويجعله نصب عينيه

ويرى كثير من فلاسفة الغرب انه قد نجح الى أقصى حد ممكن فى هذه المحاولة ، وأنه قد وصل فى تعاليمه الى منزلة تكاد تقرب من منزلة الاعجاز . وإنا على كل حال نرى أن الاغراض الاربعة السابقة هى أغراض الغزالى من الاشتغال بالفلسفة . وموعدنا العدد الآتى إن شاء الله للكلام على كل منها ؟

حامد عبد القادر

تطور الفلسفة الى ماقبل عهد سقراط

للأستاذ نجيب محفوظ

كان هم الانسان فى عهده الاول مقصوراً على الاشياء المحيطة به ، والتى يرجو من ورائها فائدة ما لحياته ، وكانت مهارته تتجلى فى التقليد والمحاكاة ، والرقص والصياح ، ولكن مرت به أجيال طويلة تعلم فى أثنائها لغة يتخاطب بها ، ولما كانت اللغة أداة التفكير فقد ابتدأ يفكر تفكيراً هو أقرب للتأملات والأوهام فسر به حياته ومماته ، ومخاوفه الكثيرة التى يراها فى الوحوش الكاسرة ، ويسمعها فى الرعود والصواعق ، والتى تزعجه فى أحلامه ، وفى هذه التفسيرات البدائية نجد بذرة الفلسفة الأولى التى نمت فى العصور المختلفة ، وتدرجت تدرجاً مستمراً ، يبين لنا الأدوار المختلفة التى مر بها التفكير الانسانى ، فتاريخ الفلسفة فى الواقع هو تاريخ العقل البشرى نفسه

ونحن نتكلم الآن عن الفلسفة الاغريقية التى سبقت عهد سقراط ، لأنها توضح نوعاً من التفكير يبتدئ ساذجاً بسيطاً ، ثم يعلو شيئاً فشيئاً إلى التفكير العلمى المبنى على القواعد والبراهين ، وليس مهما لدينا معرفة ما إذا كانت هذه الفلسفة قد جاءت عبقرية دون أن تتأثر بتيار أجنبى أم أنها تكملة لفلسفة أخرى ظهرت فى بلد آخر كفارس مثلا ، لان العقلية الانسانية فى تطورها تصعد درجات واحدة ، وعليه فالفلسفة التى ندرسها الآن يصح أن نعتبرها

أنموذجا للتفكير فى عهده الاول ، وكيفية تدرجه خطوات نحو التفكير المنطق الصحيح

وإن الأمر الذى شغل بال المفكرين الأول ، هو أصل الكون ، فنفهم من ذلك أن الطبيعة بمظاهرها المختلفة هى التى أثارت تفكيرهم من مكمنه ، وتصوروا فى بادئ الأمر أن السبب الاول للعالم شىء مادى محسوس ، وهذه هى نظرية الفلاسفة الايونيين ، وقد قال فيلسوفهم « تاليس » إن الماء أصل كل شىء « تخرج منه جميع الاشياء واليه تعود » وحاول أن يبنى نظريته على قواعد علمية ، وهذه المحاولة هى التى وضعته فى مكانته من تاريخ الفلسفة ، واختلف معه غيره من فلاسفة الايونيين ، ولكن اختلافهم اقتصر على نوع المادة التى فرضوها أصلا للكون ، واتفقوا معه فى انها مادة محسوسة ، ولهذا فاختلافهم صغير فى عين من يبحث عن تطور العقلية الانسانية . وينظر اليها كأنها كل عام .

إلا أننا نلاحظ أن مذهب الايونيين يحاول التخلص شيئاً ما من المادة المحسوسة ، فقد فسر الفيلسوف (أنا كسمندر) أصل العالم بأنه « مادة » أيضاً إلا أنها خالدة غير محدودة ولا يمكن تعريفها — :

ونرى محاولة أخرى إلا أنها أجرأ من سابقتها فى مذهب البيثاجوريين نسبة إلى فيلسوفهم الاكبر بيثاجوراس ، وقد قالوا إنه لا يمكن اتخاذه أصلا مادياً محسوساً للكون وانما يصح أن نصدق أن شيئاً أصل للعالم بعلاقاته المختلفة ، ومقاييسه ، فهذه النظرية الجديدة لا تحفل بالمادة ذاتها وانما بشكلها ، ولا تأبه بالماء والهواء وانما بالعلاقات والمقاييس . ولما كانت علاقات الاشياء كالامتداد والحجم والشكل والمسافات يعبر عنها بالاعداد ولما كان لا يمكن أن يوجد شىء فى الوجود عديم الشكل أو مستحيل القياس نتج أن كل شىء يدخل تحت العد واذاً فيصح اعتبار العدد أصلا عاماً لجميع الاشياء

ولكن هل هذا الاصل الجديد مادى أم معنوى؟ وليس عندنا جواب صريح . ومحتمل جداً أن يكونوا قد انقسموا فى فهمه فريقين :

هذه هى النظرية التى تنسب إلى بيثاجوراس وتسمى أحيانا « نظرية العدد » ثم ظهر بعدهم على مسرح الفلسفة الاليين (نسبة الى المدينة الاغريقية الكبرى إليا) وقد انتهت اليهم فلسفة البيثاجوريين التى وصفنا . ونلاحظ أنهم كانوا يعترفون بالصلة التى بين أصل الكون فى نظرهم ، والزمان والمكان ، لأنه لا يمكن قياس شىء ليس له علاقة بالمكان والزمان .

أما هؤلاء الاليين فقد أنكروا وجود أية صلة بين أصل الكون الذى ابتكروه، وبين الزمان والمكان. ذلك لانهم جردوه عن المادة تجريداً كلياً، وقالوا إنه لا يمكن أن يدرك بالحواس وانما هو يفهم بالعقل وأطلقوا عليه « الكائن المجرد »

ومن أهم فلاسفة هذه المدرسة كسينوفانيس وبارمينيدس، وزينون، وهم يتفقون فى المبدأ العام مع وجود اختلافات كثيرة فى فلسفتهم، ولسنا هنا حيال التكلم عنهم

ننتقل الآن من الفلسفة التحليلية إلى الفلسفة التركيبية، ولقد رأينا كيف جرد الاليون كائنهم المجرد عن المادة والزمان والمكان، ثم إنهم أنكروا الطبيعة المادية وقالوا عن الكون المحسوس إنه مظهر كاذب. الا انهم وجدوا أنفسهم مضطرين للتكلم عن هذا الكون الظاهر وهنا نشأت مسألة فلسفية معقدة لم نجد لها حلا. وهى أنه لم تكن توجد فى تلك الفلسفة أية علاقة بين «الكائن المجرد» والكائن المحسوس، فلما جاء هيرقليطس قرر أن أصل الكون انما هو من اتحاد الكائن المجرد بالكائن المحسوس الذى نراه ونعيش فى جزء منه، ثم قال انه من طبيعة الاشياء أن تكون فى تغير مستمر لا يتوقف وقد نشأت مسألة فلسفية جديدة بعد هيرقليطس وهى ما سبب هذا الاتحاد؟؟ وكيف تكون الكائن المحسوس؟ وقد قرر هيرقليطس تفسيراته كأنها مأخوذة من التجاريب. أما امبيروكليس فقد قال ان المادة أصل الكائن وأن القوة أصل الحركة

وأدرك اليأس الفلاسفة من ايجاد أسباب يعللون بها وجود الكائن المادى، وأخيراً اهتدى انكساجوراس الى أن «العقل» هو الذى كون العالم وأوجد له نظامه، غير انه لم يكن سوى طبيعى كأسلافه. ولهذا لم يفطن الى أن العقل شىء فوق الطبيعة المادية. ولكن مهما يكن من الامر فقد وجد من يميز بين العقل والطبيعة، ومن يعترف بأن العقل أرقى منها، والفضل فى ذلك يعود إلى السوفسطائيين

والسوفسطائيون مدرسة قامت على الشك فى الحواس، وما تأتيه لنا من المعلومات، وكانوا يحملون على الحقائق التى وصلت الينا عن طريق الحواس أو تأثرنا فى معرفتها بالتقليد. وعلى العموم فقد أتوا بمبدأ البحث الموضوعى، هذه عجالة موجزة عن تطور الفلسفة التى سبقت عهد سقراط والذى نحب أن يلاحظه القارئ، هو تخلص العقل البشرى شيئاً فشيئاً من المادة فى تفسيره لأصل الكون المادى الظاهر، وسموه الى التفسيرات المعنوية التى لا تدرك الا بالعقل ؟

نجيب محفوظ